المحاضرة الثالثة

اللِّسَانيات الحديثة

تمهيد:

اللِّسانيات من العلوم الحديثة جاءت لتخلف فقه اللغة والدرس النحوي الذي يتخذ المنطق آلية من آلياته المهمة في التأويل حسب أهواء الدارسين، فكانت دراستها للغة الإنسانية في عموم أمرها مادمت خاصية للفرد البشري دون إعطاء الاعتبار للدين، أو التاريخ أو التقدم والازدهار أو التخلف،أو الثراء أو الفقر اللغويْن ...إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن النظام اللغوي، كما أن اِلّسانيات ليست بمعزل عن أزمة نقل المصطلح الأجنبي هذا ليس في مصطلحات الدرس في مستوياته ومجالاته وفروعه فحسب، بل في اسمها كعلم يختص بالظاهرة اللغوية حيث نجد له ثلاثة وعشرين مصطلحا من أهمها: علم اللِّسان، اللغويات، الألسنية، اللِّسنيات، علم اللغة العام، اللِّسانيات...[1]

ويجدر بنا الأمر هنا أن نشير إلى أن استعمال علم اللغة ينتشر في المشرق العربي بينما مصطلح اللِّسانيات ينتشر في المغرب العربي، وهو مِنْ وَضْعِ الأستاذ الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح سنة 1978 م خلال أعمال ندوة "الألسنية واللغة العربية" في تونس.

وقبل التطرق إلى مفهوم اللسانيات التي هي من اِلّسان يجدر بنا الأمر تعريف هذا الأخير لأسبقيته على العلم في الوجود.

- **اللِّسان في المعجم:** بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد اللِّسان من مادة (ل س ن) لا يخرج عن معنى:

1- **الجارحة:** العضو المعروف، وفي هذا المعني قال تعالى: "وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ".[2]

2- **قوة الجارحة**: أي النطق. قال تعال: "واحلل عقدة من لساني"[3]؛ أي من قوة اِلّلسان التي هي النطق لا الجارحة؛ فالعضو سالم من كل عيب لكن وإنما العيب في النطق.

3-**اللغة**: قال تعالى: "وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ"[4]، فهو إشارة إلى اختلاف اللغات.[5]

4- **الرسالة**: حينئذ يؤنث قال الأعشى:

([1])- ينظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس،1984، ص 155.
([2])- سورة البلد الآية 09.
([3])-سورة طه الآية 27.
([4])- سورة الروم الآية 22.
([5])- ينظر: الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (ل س ن).

إني أتتني لسان لا أُسرُّ بها من علو لا عجب فيها ولا سخر[6]

- **اللِّسان في القرآن الكريم:** أورد الله تعالى لفظ اللسان في آيات كثير أرد منه النظام التواصلي الإنسي في مظهره الشفوي.

قال تعالى:

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ".[7]

"لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ".[8]

"أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ".[9]

"لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وبشرى لِلْمُحْسِنِينَ".[10]

- **اللِّسان في الاصطلاح:** لقد ألحق علماء العربية دلالة النظام التواصلي باللِّسان واعتبروا البحث فيه من العلوم الضرورية لحفظ تراث الأمم المعبر عنه بألفاظ مخصوصة من جهة ومعرفة قوانين سريان تلك الألفاظ من جهة أخرى. فيستلزم ذلك البحث في القوانين التي يبنى عليها لسان كل أمة من: صوت ونحو وصرف ومعجم ودلالة وقوانين تداول هذه الأسس مجتمعة أثناء الاستعمال وهو ما يعرف بالتداولية[11]. ويعرفه أندريه مارتيني بقوله: "إن اللِّسان هو أداة تبليغ وعليها يعتمد في تحليل الخبرة الإنسانية التي تختلف من جماعة إلى أخرى"[12]

- **مفهوم اللِّسانيات الحديثة:**

يعرفها صالح بلعي بأنها: "العلم الذي يدرس اللغة على نحو علمي، من حيث أصواتها وتراكيبها ودلالاتها دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية التي تكتب فيها اللغة وتستخدم".[13] وهي عند اندريه مارتينه:"الدراسة العلمية للِّسان".[14]

([6])-ينظر: ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة (ل س ن).

([7])- سورة إبراهيم الآية 04.

([8])- سورة النحل الآية 103.

([9])- سورة القصص الآية 34.

([10])- سورة الأحقاف الآية 12.

([11])-ينظر: الفارابي أبو نصر ، إحصاء العلوم تحقيق عثمان أمين، القاهرة 1931، ص15. وينظر: عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984،خ711/2.

(6) - elmed.net/spip .php.article101www.

(13)-صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر 2009،ص 16.

(14)-محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر، الجيزة،2004 ، ص 429.

اللِّسانيات "علم" يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية[15] من خلال هذا التعريف نقول: إن اللِّسانيات لها صفتان أساسيتان هما:

1- **العلمية**: وهي نسبة للمنهج العلمي والذي "يبدأ بملاحظة منظمة للظواهر المراد بحثها، وأن هذا العمل يفترض عملية اختيار وانتقاء وعزل للوقائع التي تهم الباحث في ميدان عمله من بين ألوف الوقائع الأخرى التي تتشابك مع هذه الظواهر"[16]. والعلمية عند اندريه مارتينيه أن تقوم "على مراقبة الوقائع دون أن يفضل بعضها على حساب بعض... لذلك يقف مصطلح علمي على النقيض من مصطلح "معياري" إذ علم اللغة يعتمد على الرؤية العلمية وليس على الرؤية الافتراضية".[17]

2- **الموضوعية** :الموضوعية من الأسس التي لا غنى عنها لأية دراسة علمية؛ أي أن العمل فيها يكون تجريبيا empirical ونتائجه يمكن البرهنة عليها[18].وهي خاصية العلوم "والمقصود بها أن يكون التفكير مرتبطا بسلوك الظواهر الخاضعة للملاحظة بحيث تصبح طبيعة موضوع الدراسة هي الفيصل في الحكم على الظواهر دون اعتماد على ميول الذات الباحثة ولا عواطفها ولا آرائها الشخصية ومعتقداتها".[19]

- خصائصها:

1- أنها تتصف بالاستقلال، ولا تخضع للفلسفة أو المنطق أو الدّين أو العرق.

2- أنها تهتم باللغة المنطوقة قبل الكتابة، وتعنى باللهجات على اختلافها وتعددها ولا تفضل الفصحى أو اللغة الأدبية عن أي منها.

3- تسعى إلى بناء نظرية لسانية عالمية تدرس اللغات على أساسها دون التفريق بين لغة وأخرى مهما كان حظها من الحضارة والانتشار أو الحياة أو الاندثار.

4- تدرس اللغة ضمن مستويات متدرجة لا انفصال فيها بدءا من الأصوات وانتهاء بالدلالة مرورا بالصرف والنحو.

---

(15)-ينظر: أحمد قدور اللسانيات والمصطلح ،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (81)،ج4/ 3.

(16)-محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة، ص 41.

(17)-جوزيف شريم، اللسانية المارتينية على المحك، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 05،مركز الإنماء القومي، لبنان، ص70.

(18)-ينظر: المرجع السابق، ص 46-47.

(19)-تمام حسان،الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو_فقه اللغة_البلاغة،عالم الكتب، القاهرة،2000.،ص 16.

5- تقوم بوصف اللغات والتاريخ لها وتعيين الأسر اللغوية وفروعها وإعادة بناء اللغات المندثرة بالاعتماد على علم التاريخ والانثروبولجيا والآثار.

6- تهتم اهتماما واسعا بتطبيق مناهجها على معطيات علمية وأدبية وثقافية متعددة، لذلك أنشأت لها فروعا اجتماعية ونفسية وتربوية وأسلوبية ونحو ذلك.[20]

تُعَد اللَّسانيات (Linguistique) حديثة العهد بالنسبة للِّسان الفرنسي، فلم تظهر إلا في سنة 1826 م، أمّا في انجلترا فظهرت سنة 1855م. و الكلمة من أصل لاتيني "lingua" مع إضافة اللاحقة(que)للدلالة على العلم.[21]

- **مجالات اللَّسانيات:**تدرس اللَّسانيات المجالات التالية:

1-**علم الأصوات العام (Phoneics)**: يقوم بدراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة، ويتناول النواحي الآتية:

أ- إحداث الصوت من حيث نطقه والاستعدادات والقدرات الجينية الوراثية التي تؤهل الإنسان لنطق أصوات الكلام وكل هذه الجوانب وغيرها يدرسها علم يعرف بـ"Articulatory phonetics".

ب- بنية الأصوات وهي في طريقها إلى أذن السامع، والجوانب السمعية المتعلقة بذلك، وهو ما يدرسه علم الأصوات السمعيphonetics.Acoustic

ج- العمليات النفسية العصبية التي لها علاقة بإدراك الأصوات، وهو ما يدرسه علم الأصوات العصبيNerological phonetics.

2-**علم الأصوات الوظيفي (phonology)**:يهتم بدراسة صلة الأصوات بالدلالة ويعمل على إظهار مختلف التنوعات الصوتية في لغة ما وخصائصها وأنظمتها والقواعد التي تحكمها.

3- علم الصرف (morphology): يقوم بدراسة بنية اللغة من حيث قواعد الصيغ والاشتقاق والتصريف وقوانين تغيير بنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة.

4- علم النحوأو علم التراكيب(syntax):يدرس نظام تراكيب الكلام من حيث إمكانية الائتلاف أو الاختلاف وخصوصية بعض الألفاظ وعلاقة بعضها مع الأخرى.

---

(20)-أحمد قدور اللسانيات والمصطلح، ص 3-4 .وينظر: جون ليونز ،نظرية تشومسكي اللغوية، تروتعليق،حلمي خليل،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1985،ص 39 وما بعدها.

(21)- زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ص 6.

5- علم الدلالة (semantics):يدرس المعاني الحرفية للألفاظ، ومعاني المفردات الثابتة والمتغيرة، والحقيقة والمجاز، وعوامل التطور الدلالي ونتائجه، والظواهر اللغوية من مشترك لفظي وترادف وتضاد إلى غير ذلك من المباحث. إضافة إلى علم الدلالة التاريخي الذي يعنى بدراسة تاريخ الكلمات وتطور معانيها عبر العصور، ويتم ذلك تحت مبحثين هما: التأثيل (etymology) والتغير الدلالي (semantic change).

6- علم التخاطب أو (التداولية)pragmatics:وهو العلم الذي يكشف عن معاني الكلمات المختلفة باختلاف السياقات من جهة ويعزز قدرات المتلقي في الوصول إلى مقاصد الملقي بحصرها تبعا لظروف وملابسات التخاطب من جهة ثانية. وباختصار علم الدلالة يدرس المعنى ، والتداولية تدرس الاستعمال.[22]

([22])- ينظر:محمد محمد يونس علي،مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004،ص 15-16-17-18.